UNIVERSAL
LIBRARY

OU_191037

UNIVERSAL
LIBRARY

مَعْرُوفُ الأَسْكَافِي

# مَعْرُوفُ الأَسْكَافِي

## ١- قصص ألف ليلة

## معروف وزوجته

مما يُحكى أنهُ كانَ فى مدينةِ مصرَ ، رجلٌ إسكافىٌّ يشتغلُ بإصلاحِ الأحذيةِ القديمةِ ، وكانَ اسمُه معروفاً .

وكانَ لَهُ زوجةٌ اسمها فاطمة ، وكانتْ امرأةً قليلة الحَياءِ كثيرةَ الفتنِ ، تسُبّ زَوجهَا وتلعنُه كل يومٍ ، وكان معروف يخشى شرّها ويخافُ من أذاهَا لأنّه كانَ رجلًا عاقِلًا حييًّا ، لكنه كانَ فقيرَ الحَالِ ، فاذا اشتغلَ بكثيرٍ رضيت عنه ، أمّا اذا اشتغلَ بقليلٍ فإنّها تنتقِمُ مِن بدنهِ تلكَ الليلة .

وعندمَا خرجَ معروفٌ الى حانوتِه فى يومٍ من الأيّامِ ، طلبتْ منهُ زوجتُه أنْ يُحضرَ معَهُ فى المساءِ شيئاً منَ الفطيرِ مجهزاً بعسلِ النحلِ فوعَدَهَا معروفٌ خَيراً ، ودعَا اللهَ أن يفتَحَ عليهِ فى يومِهِ ليُجيبَ طلبَ زوجته .

ثمَّ خرجَ معروفٌ مغموماً لتوعد زوجته ، إذ لم يكنْ معه

قليلٌ ولا كثيرٌ من المالِ ، ففتَح دكَّانَه وجلس وهو يسألُ اللهَ أنْ يرزقَه ثمنَ هذا الفطيرِ ، فيكفيه شرَّ هذه المرأةِ ، حتّى اذا انتصفَ النهارُ ولم يجدْ أحداً يُقبلُ عليهِ شُغِلَ بَالُهُ واشتدَّ خَوفُه من زوجتِهِ فقامَ وقفلَ الدكَانَ وصارَ مُتَحَيِّراً فى أمرِه من شأنِ هذا الفطيرِ

ثمَّ إنَّه مَرَّ على دُكانِ صانِعِ الفطيرِ ، ووقفَ مبهوتاً ، واغْرَورَقَتْ عيناهُ بالدُّموعِ ، فلحظَ عليهِ ذلكَ صاحِبُ الفطيرِ ، وسألهُ عن سببِ بُكَائهِ .

فأجابَهُ معروفٌ ، وأخبرهُ بقِصَّةِ زَوجتِهِ وكيفَ أنَّها طلبتْ منهُ أن يُحضِرَ لها فطيراً ، وقصَّ عليه كيفَ أنّه جلسَ فى دُكانِه حتّى انتصفَ النهارُ فلم يَزُره زائرٌ ، ولم يَحصُلْ حتّى على قوتِ يومِه ، ثم شرحَ لهُ مبلغَ خَوْفِهِ من امرأته هذه .

فضحِكَ صانِعُ الفطيرِ وسأله عن مِقدارِ ما يرغبُ من الفطير، فأجابَ بأنَّه يرغبُ فى خمسةِ أرطالٍ ، فوزَنها له ولمَّا لم يكنْ عندَه شيءٌ من عسلِ النحلِ أشار على معروف أن يضعَ عِوَضاً عنه شيئاً من

عسلِ القصبِ فاستحى معرُوفٌ منه ولم يرفُضْ هديته

ثم إنَّ صانِعَ الفطير زوَّد معروفاً بما يحتاجُه من عيشٍ وجُبن فصارَ ماعلى معروف خمسةَ عشَرَ دِرهماً ، فأَمهله صانِعُ الفطير يومين أو ثلاثةً حتّى يرزقهُ اللهُ وحتى لا يُضيِّقَ على زوجته ، فانصرفَ معروفٌ داعياً له .

ورجعَ الى بيتهِ مجبورَ الخَاطِرِ ، وهو يقولُ « سبحانكَ ربِّى ما أكرمكَ » ثم إنّه دخلَ على زوجتِهِ ، فما كادَ يستقرّ حتى سأَلَتْهُ عنِ الفطِيرِ ، فوضَعَهُ أَمامَها ، فما إن رأَتْ أنَّه مصنوعٌ بعسلِ قصَبِ السكر حتى اهتاجتْ وغضِبَتْ . فقصَّ عليها قصته ، وكيفَ أنه اشترى ذلكَ ديناً عليهِ فلم يُجْدِ كلٌّ هـذا نفعاً بل إنها استشاطت غضباً فضربته فى وجهه ، ولكمتْه فى صُدغِهِ حتى كسرتْ سِنًّا من أسنانِه .

وأخذتْ زوجَةُ معروفٍ تَصيحُ وتُوَلْوِلُ ، فجاءَ الجِيرانُ ، فلما سمعوا بقصتها صارُوا يؤنّبونها على تجبرها ، وما زالوا يلاطِفونها حتى

أصلحوا بينها وبينه . ولكنها بعدَ أنْ ذهبَ الجِيران أقسمتْ ألا تذوقَ شيئاً من هذا الفطير ، فما كانَ من معروف ـ وقد هدَّه الجُوع ـ إلا أن هجمَ على الفطير يلتهِمُه التِهاماً وصارَ يأكلُ ويضحكُ ، ويَعِدُ زوجتَه بأنّه سوفَ يُحضرُ ما تطلبُه فى الغَدِ ، ولكنَّ ذلكَ أثارَ من غضبها وأشعلَ من غيظها ، فصارتْ تدعو عليهِ وتَسبُّه وتشتُمه الى الصُّبحِ

## عند القاضى

فلما أصبحَ الصباحُ ، شمَّرَتْ عن ساعدِها لضَرْبِه فقالَ لها أمهِلينى وأنَا أجِىء اليك بغيره . ثم خرَجَ الى المسجدِ وصلى وتوجَّهَ الى دُكَّانِهِ وفتحها وجلسَ ، فلم يستقِرَّ به المجلسُ حتّى جاءهُ رسولانِ من قاضى المدينةِ وأعلماهُ أنَّ القاضىَ أرسلَ فى طلبِهِ لأنَّ امرأتَهُ قد شكتْهُ إليهِ ، فقامَ ومشَى معهما الى أن دخلَ على القاضِى ، فرأى زَوجَتَهُ تربُط ذراعَها وبُرقُعُها ملوثٌ بالدَّمِ وهي واقِفةٌ تبكى وتمسحُ دموعَها

فقال له القاضِى أيُّها الرجلُ ألا تخافُ من اللهِ تعالى ، كيفَ تَضرِبُ هذِهِ المرأةَ وتكسِرُ ذِرَاعَها ، وتَقلعُ سنَّها وتفعلُ بها هذهِ الفعالَ ؟ »

فأنكرَ معروفٌ كلَّ ذلكَ . وروى له قصَّته ، وكيفَ أنَّ الجِيرَانَ أَصلَحوا بينه وبينها ، وكانَ القاضِى من أَهلِ الخَيْرِ فأخرَجَ له ربعَ دِينارٍ وقالَ له :

« خُذْ يا معرُوف ، خُذْ هذا واصنَعْ لزوجتِكَ به فَطيراً بعسلِ نَحلٍ ، وصالحها وترفق بها »

ثمَّ التفتَ الى زَوجةِ معروفٍ وأمرَها أن تُطيعَ زوجَها فخرَجَا مصطلحين ، فذهبتْ زوجتُه من طريقٍ ، وذهب معروفٌ من طريقِ آخرَ الى دكانه ، فلما وصلَ معروفٌ الى دكَّانه جلسَ حزيناً ثمَّ وضعَ يَدَهُ تحتَ خدِّهِ إذ لم يكن لديهِ عملٌ يشتَغلُ بهِ بعدَ أَن باعَ أدواتِه . فبينما هو جَالِسٌ إذْ برَجُلَيْنِ قبيحَي المنظرِ أقبلا عليهِ وقالا له «إنَّ القاضى يَدعوكَ لأنَّ زوجتَكَ شكَتْكَ إِلَيْهِ » فأجابَهُما معروفٌ

بما حصلَ بينَهُ وبينها من صلحٍ أمامَ القاضى ، ولـكنهما أصَرَّا على أخذهِ إذ أن زوجتَه اشتـكتْه الى قاضٍ آخرَ ، فلم يجد بُدًّا من أن يذهب معهما ، فلما دخلَ معروفٌ على القاضِى وجدَ زوجتَه واقفة فسألها عن سببِ ادِّعائها عليهِ ، فأَجابتْهُ بأنَّها لم ترضَ بالصُّلحِ .

فتقدَّمَ حينئذٍ الى القاضِى وقصّ عليه قصته وذكرَ له أنَّ القاضِىَ فُلَانًا أصلحَ بينَه وبينها فى تلكَ الساعةِ . فلم يَكن منَ القاضِى إلا أن عنَّفها وأصلحَ بينهما من جديدٍ ، ورجا معروفًا الّا يَضربَ زوجتَه كما رجاها ألا تَعودَ لمخالفتهِ ، فاصطلَحا

فذهبَ معروفٌ الى دُكَّانِهِ وفتحها ، وجلسَ فيها وهو تائه العقلِ منَ الهمّ الذى أصابَه ، فبينما هو جالسٌ اذا برَجُلٍ أقبلَ عليهِ وقالَ له : « قُمْ واهربْ فإنَّ زوجَتَكَ اشتكتكَ الى السُّلطانِ وهم يبحثونَ عنكَ »

فقامَ معروفٌ وأغلَقَ دُكَّانَهُ وهربَ الى جِهةِ بابِ النَّصرِ ، وكَان قد بقِىَ معه خمسةُ دراهمَ من ثمن أدواته التى باعها ، فاشترى

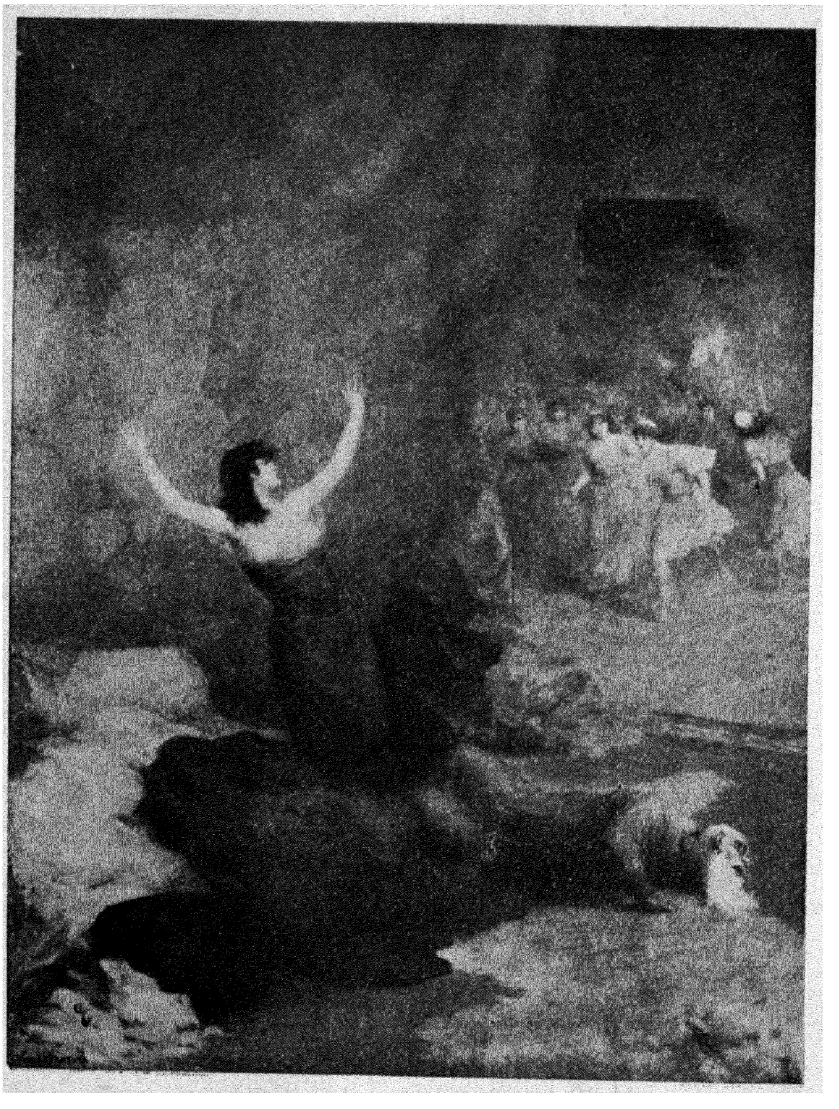

واخذت زوجة معروف تصيح وتولول

باربعةٍ منها خبزاً وبالدرهم الخامسِ جُبناً . وكان ذلك فى فصلِ الشتاء وقتَ العصرِ ، فما كادَ يخرُجُ حتّى نزل عليهِ المطرُ مثلَ أفواهِ القِرَبِ ، فابتلّتْ ثيابُه ، فرأى بيتاً خَرِباً فيهِ حُجرةٌ مهْجورَةٌ من غيرِ بابٍ ، فدخلَ يَستكنُّ فيها مِنَ المطرِ فنزلَتِ الدُّموعُ من عَينيْهِ ، وصار يَتضجَّرُ مِمَّا به ويقولُ :

« أيْنَ أهرَبُ من هـذهِ الشِّرِّيرَةِ ـ أسْأَلُكَ يارَبِّ أن تُقيِّضَ لى من يذهبُ بى الى بلادٍ بَعيدةٍ لا تَعرِفُ طريقى فيها »

## الجِنِّى

فبينما هو يَبكى اذْ بالحائِطِ قدِ انشقَّتْ وخرجَ له منها شخصٌ طويلُ القامَةِ ، رؤيتُه تَقشعرُّ لها الأبدَانُ ، وقال لمعروف : « أيُّها الرَّجلُ ، مالكَ أقلقْتنى فى هذه الليلةِ ، وأنا أسكن هـذا المكانَ مُنذُ مائتَى عام ، فما رأيتُ أحداً دخلَه وصَنَع مثلَ ما صنعتَ فأَخبرْنِى بقصتك ، وأنا أقضى حاجتَك فإنَّ قلبى أخذتْهُ الشَّفقَةُ عليكَ »

فسأله معروفٌ من أنت ؟ فقال له : « أنا ساكن هذا المكان » فاخبره معروفٌ بجميعِ ماجرى مع زوجتِهِ . فقال له أتريدُ أن أوصِّلكَ الى بلادٍ لا تعرفُ لكَ زوجتُكَ فيها طريقاً ، فقبلَ معروف ، ثم طلبَ منهُ الماردُ أن يركبَ فوقَ ظهرهِ ، فركِبَ وحمَله وطارَ به من بعد العِشاءِ الى طلوعِ الفجرِ ، وأَنزلهُ على رأسِ جبلٍ عالٍ فلما هبَط منه ، أَشارَ اليهِ الماردُ أن ينحدِرَ من فوقِ الجَبلِ حتّى يرى بابَ مدينةٍ فيدخُلَها ، وأَنَّ زوجتَهُ لن تعرفَ له طريقاً ولا يمكنها أنْ تصِلَ إِلَيهِ ، ثم تركه واختفى

## أختيان الختن

فوقف معروف حائراً الى أن طلَعَتِ الشَّمْسُ ، فقامَ ونزلَ من أعلى الجَبل ، فوصلَ الى مدينةٍ ذاتِ أسوارٍ عاليةٍ وقصورٍ مُشيَّدةٍ وأبنيةٍ مُزخرَفةٍ ، وهيَ نزهةٌ للناظرِينَ ، ورآها تشرحُ القلبَ الحَزينَ

فلما مشَى فى السُّوقِ صارَ أهلُ المدينةِ يَنظرُونَ اليهِ ويتفرَّجون عليهِ ، واجتَمعوا حولَه وهم يَعجَبون لملبَسِهِ لأنَّ ملبسَه لا يُشبِهُ ملابسَهم

فدنا منه رجلٌ وقال له : « يارجل هل أنتَ غريبٌ ؟ » فعرّفه معروفٌ بأَنَّه قد قدمَ من مِصرَ السعيدةِ

فسأله الرجلُ ثانيةً « أَلكَ زمانٌ مُفارقَهَا » فقال له معروفٌ منذ عصر الأمسِ

فضحكَ الرجلُ عليه وقال :

« انظرُوا أيها الناسُ الى هذا الرجلِ ، واسمعوا ما يقولُ فهو يزعم أنّه من مصرَ ، وخرجَ منها أمس العصر ، أَلا تَرَوْن أنه مجنونٌ حتى يقولَ هذا الكلامَ ؟ يزعم أَنه فارقَ مِصرَ ، فى وقتِ العصر وأَصبحَ هنا ، وبين مدينتنا وبينَ مصرَ مسافةُ سنةٍ كاملةٍ »

فصاحَ معروفٌ :

« ما مجنونٌ إِلَّا أَنت ، أَمَّا أَنا فصادقٌ فى قَولى ، وهذا خُبزُ مصر لم يزل طريًّا »

فأراهُمُ الخُبزَ فصارُوا يتفرَّجون عليه ويتعجَّبونَ منهُ لأنه لا يُشبِه خبزَهم ، وصاروا يَعرضونه بعضهم على بعض ، ويتعجبونَ منه ، فمنهم ناسٌ يصدِّقونَ وناسٌ يكذِّبونَ ويهزأُونَ بهِ ، حتّى صارتْ له شهرةٌ عظيمةٌ فى تلكَ المدينةِ

## التاجر على المصرى

وبينَماهُم فى تلكَ الحَالةِ ، اذا بتاجرٍ أَقبَل عليهم وهو راكبٌ بغلةً وخلفهُ عبدانِ ، ففرَّق الناسَ وقالَ لهمْ « أَمَا تَستَحونَ وأَنتم مُجتَمِعونَ حولَ هـذا الرَّجُلِ الغريبِ تَسخَرونَ منه وتضحكونَ عليهِ ، ولم يَزَل يسُبُّهم حتّى طردهم عنه ولم يقدر أَحدٌ أَن يرُدَّ عليه جواباً

ثمَّ أَخذَ التاجِرُ معروفاً ، وسارَ بهِ الى أَن أَدخله داراً واسعة مُزخرَفةً وأَجلسَه على مقعدٍ فاخِرٍ ، وأَمرَ العبيدَ ففتَحوا له صُندوقاً وأَخرَجوا لهُ حُلّةَ تاجِرٍ وأَلْبسَه إِياها . وكان معروفٌ وجيهاً فصارَ كأنه كبيرُ التُّجَّارِ

ثم إنَّ التاجرَ طلبَ الطعامَ فقدموا له الأطعمةَ الفاخرةَ من سائر الألوانِ فأَكلا وشَرِبَا . وبعدَ ذلكَ سألهُ التَّاجِرُ عن اسمه وعن صِناعتهِ ، فأَجابه معروفٌ بذلكَ ، وذكرَ لهُ أَنَّه اسكافيٌّ يرقِّعُ الأَحذِيةَ القديمةَ وأَنه قدِمَ من مصرَ

فسأَله التَّاجرُ عن الحَارةِ التى كَانَ يسكنها ، فتعجَّبَ معروفٌ عندَمَا علمَ أَنه من أَبناءِ مصرَ ، ثم قالَ له : إِنه منَ الدربِ الأَحمرِ ، فسأَلهُ التَّاجرُ عمَّن يعرفُ من سُكَّانِ هذا الدَّربِ ، فعدَّ له معروفٌ ناساً كثيرةً ، ثم سأَلهُ التاجرُ عن رجُلٍ يُدعَى الشيخ أَحمد العطَّار ، فأَعلمه معروفٌ بأنه جار لهذا الشيخ

ثم سأله التاجرُ عن حال هـــذا العطَّارِ فأَجابهُ انه بخير . ثم سأَله عن أولاده فأجابه معروفٌ بأَنهم ثلاثةٌ : مُصطفى ومُحمد وعـلى . ثم سأَلهُ التاجرُ عن حالهم فأَجابه معروفٌ : .

« أَمَّا مصطفى فإِنه عالمٌ مدرسُ ، وأما مُحمَّدٌ فإِنهُ عطَّارٌ قـد فتحَ لهُ دكاناً بجانب دكان أَبيه ، بعد أَن تزوَّجَ وولدتْ

له زوجته ولداً اسمه حسنٌ . وأما علىٌ فهو رفيقى منذُ الصغرِ وكنتُ دائماً أَلعبُ وإياهُ، فحدث مرةً أَنِ اشتكاهُ بعضُ الجيرانِ الى أَبيهِ فضربه وكانَ ذلكَ سببَ هربهِ من ذلكَ الوقتِ ، وقد مضى عليهِ عِشرونَ عاماً ولم يسمع أَحدٌ عنه خبراً

فلما سمعَ التاجرُ ذلك قال له :

« أنا علىٌ بن الشيخ أحمد العطارِ ، وأنتَ رفيقى يامعروفُ »

فأعادا السلامَ وتبادلا التحيةَ ، ثم سأله عن سبب مجيئه من مصرَ إلى هـذهِ المدينةِ فأخبرهُ معروفٌ بخبرِ زوجتهِ فاطمةَ وما فعلت معه وقال له :

« لما اشتدَّ أذاها علىَّ ، هربتُ منها إلى جهةِ باب النصرِ ، ونزل علىَّ المطرُ فدخلتُ فى غرفةٍ خربةٍ وجلستُ أبكى ، فخرج علىَّ ساكنُ المكان وهو عفريتٌ من الجن وسألنى فأخبرتهُ بحالى ، فأركبنى على ظهرهِ وطار بى طول الليلِ بين السماء والأرض ، حتى وضعنى على جبل بقربة من مدينة ذكر لى اسمها ، فنزلتُ ودخلتها ، فاجتمع

حولى الناس وسألونى ، فقلتُ لهم : إنى خرجتُ البارحةَ من مصر فلم يصدقنى أحدٌ ، ثم جئتَ أنتَ ومنعتَ عنى الناسَ وجئتَ بى إلى هذهِ الدارِ . وهذَا سببُ خروجى من مصرَ . وأنت ماسببُ مجيئكَ الى هنا ؟ فقال :

« غلبَ علىَّ الطيشُ وعمرى سبع سنينَ ، فمنذُ ذلكَ الوقتِ وأنا أدورُ من بلدٍ إلى بلدٍ ، ومن مدينةٍ إلى مدينةٍ ، حتى دخلتُ هذه المدينةَ ، واسمها أختيان الختن فرأيتُ أهلها ناسا كراما يأتمنونَ الفقيرَ ويداينونه ويصدقونَ كلّ مايقوله ، فقلتُ لهم بأنى تاجرٌ سبقتُ قافلتى وأريدُ مكانا أُنزلها فيه فصدّقونى وأخلوا لى مكانا ، ثمَّ طلبتُ منْ يداينى بألفِ دينارٍ حتى تجىء قافلتى وأردُّ لهُ ما أخذتهُ منه ، فأعطونى ماأردتُ ، وتوجهتُ إلى سوقِ التجارِ فرأيتُ شيئا من البضاعةِ فاشتريتهُ ثمَّ بعته فى اليومِ الثانى فربحتُ فيه خمسينَ ديناراً ، فاشتريتُ غيره ثم صرتُ أعاشرُ الناسَ وأكرمهم فأحبونى وصرتُ أبيعُ وأشترى فكثر مالى ، لأنه كما تعلم أن الحياةَ حيلةٌ ، والبلادُ

التى لايعرفك فيها أحدٌ تفعلُ فيها ماتشاء .

« فاذا قلت لكل من سألك بأنك اسكافىٌ فقيرٌ ، هربتَ من زوجتك البارحةَ من مصرَ ، فلا تجدُ من يصدقك بل تُصبح موضعَ سخريتهم ، وإن قلتَ بأن عفريتا حملك نفروا منك وخافوا من قربك ، فتلوّثُ اسمَك واسمى ، لأنهم يعرفون أننى مصرى »

## عند التجار

ثم سأله معروفٌ عما يصنع ، فقالَ لهُ التاجرُ :

« سوفَ أُعطيكَ فى الغد ألفَ دينارٍ ، وبغلةً تركبها وعبداً يمشى أمامكَ ، حتى يوصلك الى بابِ التجار فادخلْ عليهم وأنا بينهم ، فمتى رأيتُك أقومُ لكَ وأسلمُ عليك وأقبِّلُ يدكَ ، وكلما سألتُكَ عن صنف منَ الثيابِ فعليك أن تجيبنى بأنَّ معكَ منه الشىءَ الكثيرَ ، وإن هم سألونى عنكَ أُعظّمُك فى أعينهم ، ثمَّ أطلبُ منهم أن يحجزوا لك متجراً وأصفك بكثرةِ المال والكرم

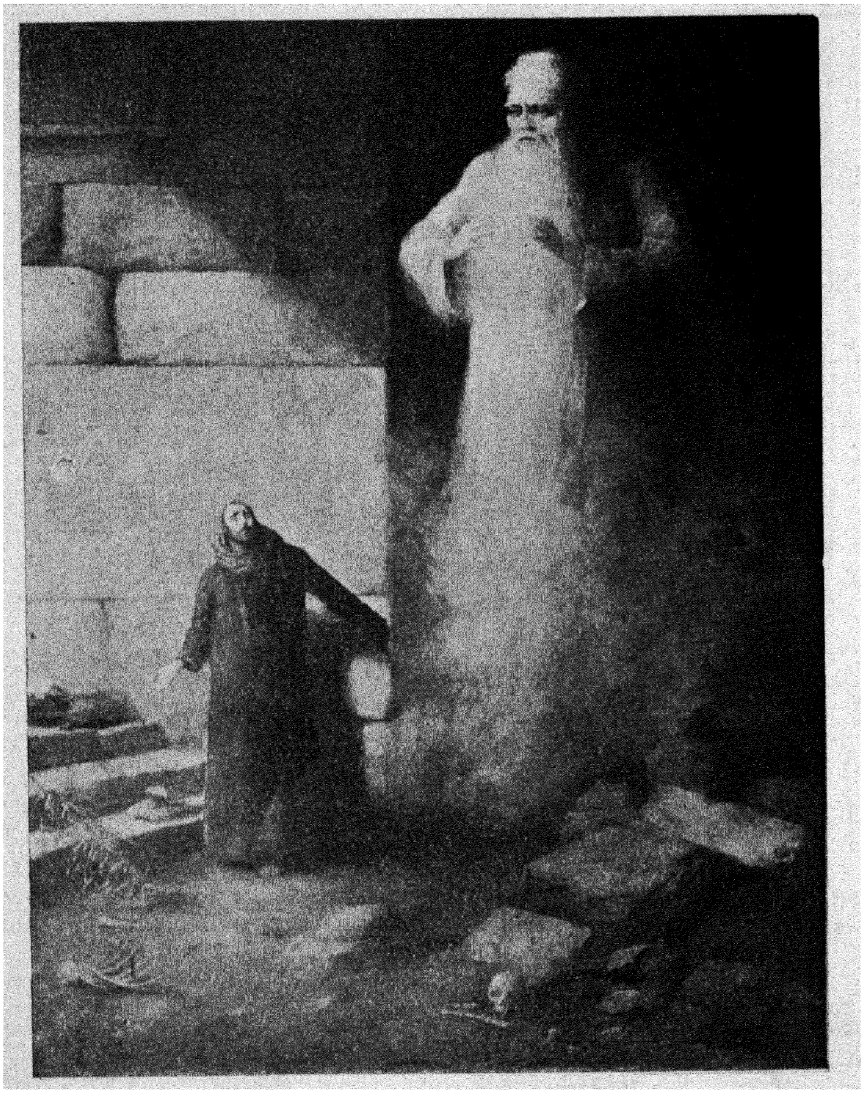

فقال له معروف « من انت ؟ »

واذا أتاك سائلٌ فأعطه ماتيسر ، فيثقونَ بكلامى ويعتقدون عظمتَك وكرمكَ ويحبونك . ثم إننى بعد ذلك أدعوكَ وأدعو جميع التجارِ وأجمعُ بينك وبينهم ، حتى يعرفوكَ جميعهم وتعرفَهم فتبيعَ وتشترىَ معهم ، فلا تمضى عليك مدةٌ حتى تُصبحَ صاحبَ مال »

ثم انه لما أصبح الصباحُ أعطى التاجرُ معروفا ألفَ دينار ، وكساه حلة وأركبه بغلةً وأعطاه عبداً ، فركب معروفٌ البغلةَ بعد أن شكر التاجرَ ومشى معه العبدُ الى أن أوصله الى باب سوق التجار ، وكانوا جميعا جلوسا والتاجرُ بينهم . فلما رآه قامَ ورمى نفسه بينَ يديه وحيّاه وقبّل يدهُ ثم نظرَ إلى التجار ودعاهم الى السلام على معروفٍ فسلموا عليه ، ثم أنزله من على البغلة وصار التاجر يختلى بالتجار واحداً بعد واحد ويشيد لهم بذكر معروف

وقال لهم ان معروفاً من أكبر التجارِ ، ولا يوجد تاجرٌ فى مصر أكثر منه مالاً ، لأنَّ أموالَه وأموالَ أبيه وأجدادِه مشهورةٌ بالكثرة عند تجار مصر ، وله شركاء فى السندِ والهندِ واليمن ،

وهو فى الكرم على قدرٍ عظيم ، وما جاء هذهِ المدينةَ إلا لغرض السياحةِ لا من أَجل المكسب ، لأن أمواله لاتأكلها النيرانُ كثرةً ، وليس هو إلا من بعض خدمه

ولم يزلِ التاجرُ يشكرُه حتّى جعلوا معروفاً فوقَ رءوسهم، وصاروا يتحدَّثونَ بِصفاتِهِ ، وصاروا يُهدونَ إِليهِ أَنواعَ الطَّعامِ والشرابِ الفاخِرَةِ. وجاءَ كبيرُ التُّجَّارِ اليه يسأَلُهُ عن أَنواعِ الثيابِ ،فكانَ يذكرُ له معروفٌ أَنَّ معه الكثيرَ منها ، وكانَ صديقُه التَّاجِرُ قد عرَّفه بأَسماءِ الثِّيابِ وأنواعها . فكانَ معروفٌ يُجيبُ كلَّ سائل بأَنَّ معهُ كلَّ أَنواعِ الثِّيابِ وألوانِها

## كرم معروف

وبيناهم كذلكَ إِذا برجُل سائلٍ دارَ على التُّجَّار ، فمنهم من أَعْطَاهُ نِصفَ دِرهم ، ومنهم من لم يُعطِهِ شيئاً حتى وصلَ الى معروفٍ ، فملأَ كفَّه ذهباً وأَعطاهُ إِيَّاهُ فدعا له السائلُ وذهبَ .

فتعجَّبَ التُّجارُ من ذلكَ وقالوا إنَّ هذِه عطايا الملوكِ ولولا أنه من أَصحابِ النعمِ الجَزيلةِ ما كانَ يُعطى السائلَ هذَا العطاءَ. ثم أَتته بعدَ ذلكَ امرأةٌ فقيرةٌ فملأَ يدَه ذهباً وأَعطاها إيَّاه ، فذهبتْ تدعو له وتقُصُّ قِصَّته على الفقراءِ ، فأقبلوا عليه واحداً بعد واحد ، وصار معروفٌ ينثرُ عليهم الذهبَ حتى أَنفقَ الألْفَ دينارٍ

ولما لم يبقَ عند معروف شيءٌ أَخذَ يَضربُ كفًّا على كفٍّ ، ولما سأله كبيرُ التُّجَّارِ عن ذلك قالَ إنه لم يعرفْ أَنّ أَكثرَ هذهِ المدينةِ من الفقراءِ والمساكينِ ، ولو كانَ يعرفُ ذلكَ لكانَ قد جاءَ معه بجانبٍ وفيرٍ من المالِ فأَحسنَ به اليهم . وأبدى معروفٌ خَوفَهُ من أَن تطولَ إقامتُه إذ لم يبقَ معهُ شيءٌ من الذهبِ وهو بطبيعتِهِ لا يردُّ السائلَ ، فكانَ ذلكَ سببَ همِهِ

فلمَّا سمعَ ذلك كبيرُ التجَّارِ أَرسلَ بعضَ أَتباعِهِ فجاءَ لهُ بألفِ دينارٍ فصار يُعطى كلَّ من يمرُّ بهِ من الفقراءِ حتى أَذَّنَ الظُّهرُ ودخلوا الجامعَ وصلوا الظهرَ ، فلما خَرجَ نثرَ ما بقىَ معه من

الألفِ دينار على رءوسِ المصلينَ ، فانتبهَ له الناسُ وصاروا يدعون له ، وَعجِب التجارُ لكثرةِ كرمه وسخائه . ثمَّ إنه طلبَ من تاجرٍ آخرَ ألْفاً أُخرَى وفرّقها وصارَ التاجِرُ ينظُرُ الى فِعلهِ ولا يتكلمُ

ولم يزل على هـذِه الحْالِ حتى أَذَّنَ العصرُ فدخلَ المسجدَ وصلَّى وفرَّقَ الباقى ، فما قفلوا بابَ السُّوقِ حتى أَخذَ خمسةَ آلافِ دِينارٍ وفرّقها وكَان يقولُ لكلٍّ من يأْخذ منه انه سوف يرُد ما استدانه منه ذهبًا أَراد أَم ثيابًا

وعند ما جاء المسَاءُ دعاه التاجرُ ودعا معه التجارَ جميعا وأَجلسهُ فى صدرِ المكانِ ، وَصار معروفٌ لا يتكلمُ الا عن الثيابِ والجْواهِرِ ، وكلما ذكر له التُّجَّارُ شيئا يقولُ لهم : انَّ عندَه الشىءَ الكثيرَ منه . وفى اليومِ الثانى ذهبَ الى السوقِ وصارَ يَستدينُ من كل تاجر ويفرّقُ الأَموالَ على الفُقراءِ ، ولم يزل على هذه الحْالةِ عشرينَ يومًا حتى أَخذ من النَّاسِ ستينَ أَلْفَ دِينارٍ ولم تأْته بضاعتُه

فقلقَ الناسُ على أَموالهم وأَخذوا يشكُّون فى مجىءِ قافلتِهِ وهو قد بعثرَ أَموالهم على الْفُقراءِ . فلم يَجدوا بُدًّا من أَن يذهبوا إِلى مُواطنِهِ التاجرِ علىّ ، وصارحوه بالأَمرِ فأَخذَ يُطَمْئِنُهُم ويقولُ لهم إِن قافلتَه لا بُدَّ آتيةٌ عن قريبٍ ، ثمَّ إِن التاجرَ عليًّا اختلى بمعروفٍ وقال له : ما هذه الفعالُ يامعروفُ إِن التجَّارَ قلقوا عَلَى أَموالهم ، وأَخبرونى بأَنَّه صارَ لهم عليكَ ستُّونَ أَلفَ دينارٍ أَخذتَها وفرَّقتها على الفُقراءِ ، فمِنْ أَينَ لكَ أَن تسُدَّ ديونَ الناسِ وأَنتَ لا تبيعُ ولا تشترى

فما كَانَ من معروفٍ الّا أَن قال له :

« وما يحدُثُ ! وما مقدارُ الستينَ أَلْفَ دينار فإِننى رادُّها اليهم إِذا ماجاءت بضاعتى ، ذهبًا أَرادوا أَم ثيابًا

فصاحَ التاجرُ من العجب : « اللهُ أَكبرُ ! وهل لك بضاعةٌ ! »

فأَجابَ معروفٌ : « نعم ، كثير ! »

فصاحَ فى وجهه التاجر علىٌّ « الله على سماجَتِك ! هل أَنا علَّمتُك

هـذا الـكلامَ لتردَّ به علىَّ ؟ اذاً فلا بُدَّ من أَن أُخبر الناسَ بحقيقتك »

فقال لهُ معروفٌ « افعل ما بَدا لك فما أنا بفقيرٍ ، فإن بضاعتى شىءٌ كثيرٌ ، فإذا جاءت أَخذوا متاعهم المِثْـلَ مِثْلين فما أَنا فى حاجةٍ اليهم

فعند ما سمعَ التاجرُ ذلك تملـكه الغيظُ وصاحَ بمعروفٍ : « لا بدَّ من أَن أُريكَ كيفَ تـكذِبُ علىَّ ولا تستحى » فلم يزد ذلكَ معروفًا الّا إصراراً على ادّعائهِ ، الّا أَنَّ التاجرَ فـكَّر فى نفسه ورأَى أَنّه إذا ذمّ معروفًارماه التجار بالنفاق والـكذب

ثم إنَّ التُّجَّار جاءوا اليه يسأَلونه عما تمَّ فى أَمْرِ مالهم ، فقالَ إنه يستحى أَن يطالبَ معروفا بمالَه عنده من مالٍ ، أَمّا أَنتم فقد أَعطيتموه ما طلبَ دونَ مُشاورتى . واقترحَ عليهم أَن يذهبوا إليهِ ويطالبوه ، فإن لم يُعطهم فعليهم بشكايتِهِ الى السلطان متهمينَ معروفًا بالتحايل

## عند السلطان

فراحَ التجّارُ الى السلطان وأَخبروه بما وقعَ ، وكيفَ أَنه كانَ يفرِّقُ الذَّهبَ دونَ حساب ، فلو كانَ مُقِلاًّ ما كانت تسمح نفسُهُ بأَن ينثرَ الذهبَ ويعطيَهُ الفقراءَ ، ولو كانَ حقًّا من أَصحابِ الثروة لظهر صدقُه بمجيء بضاعتهِ التى لم تأتِ معَ كثرة ادعائه ، وذكروا له كيفَ أَن معروفًا أَخبرهم بما عنده من صُنوفِ الثيابِ ثم ذكروا له كيفَ صار لهم عنده ستون أَلفَ دينار

وكانَ ذلك السلطان شَرِهًا طمّاعًا ، فلما سمعَ بكرَمِ معروفٍ وسخائهِ غلبَ عليهِ الطمعُ وقالَ لوزيره :

«لا بُدَّ وانَّ هذا التاجرَ يملكُ الأَموالَ الكثيرَةَ ، والّا ما كانَ يُبعثرُ الذَّهبَ بهذا القدرِ ، ولا بُدَّ أَنَّ بِضاعته آتيةٌ وعندَئذٍ سوفَ يُبعثرُ أَموالا كثيرةً على التجارِ ، وأَنا أَحقُّ منهم بهذا المالِ . فأَرى أن أَتودَّدَ اليهِ حتى تأْتىَ بضاعتُهُ وأُزوّجه ابنتى وأَضم

ماله الى مالى » إلّا أَن الوزيرَ اعترضَ على رأى السلطان ورمى معروفاً بالنصبِ والاحتيال فما كَان من السلطان الا أن عرضَ على وزيرهِ أن يقومَ هو بامتحانِ معروفٍ ، وذلكَ بأَن يبعثَ فى طلبهِ ويعرض عليهِ جوهرةً عنده ، فإن عرَفها وعرفَ ثمنها يكونُ صاحب مال وثراء وإن لم يعْرفْها فهو نَصّابٌ ، وهو محتالٌ يجبُ أَن يُقتَلَ أقبحَ قِتلةٍ .

ثم إنّ السلطان أرسلَ فى طلبِ معروفٍ ، فلمّا دخلَ حيّاه وأجلسَه الى جانبهِ ، وقالَ له إنَّ التُّجّارَ يزعمون بأَنَّ لهم عندَك ستّين ألفَ دينارٍ . فلم يكن من معروفٍ إلّا أن أقرَّ بذلكَ ، وذكرَ للسلطان أنه فى انتظار بضاعتهِ حتّى اذا جاءت أَعطى التجارَ المثلَ مِثلين ذهباً أو فضةً أو ثياباً

ثمَّ إنَّ السلطان أخرَجَ الجْوهرَةَ وعرضَها على معروفٍ ، وسأله أن يذكرَ نوعها وقيمتَها ، وكَان السلطان قد اشتراها بألف دينارٍ .

فأَخذ معروفٌ الجْوهرةَ بيدِهِ وفركها بإبهامه حتّى كسرَها

لأنها رقيقةٌ لا تحتملُ ، فسأله الملكُ عن سببِ كسرِها فقال له معروفٌ وهو يضحك :

« أيُّها السلطان ما هذهِ بجوهرةٍ ، وما هيَ الا قطعةُ معدنٍ تساوى ألفَ دينارٍ ، اذلو كانت جوهرةً لكان ثمنُها سبعين ألفَ دينارٍ ، وإنما يُقالُ على هذهِ قِطعةُ معدنٍ . والجوهرةُ ما لم تكن بقدر الجوزةِ لا قيمةَ لها عندِى . فمابالُك أيها السلطان تدعُو هذهِ جوهرةً وهيَ قطعةُ معدنٍ ولكنكم معذورونَ فى ذلكَ لفقركم وقلّةِ ذخائركم »

ثم سألهُ السلطان عما عندَه من الجواهرِ ، فأجابه معروفٌ بأنَّ لديهِ الكثيرَ منها ، فغلبَ الطمعُ على السلطان ووعدَهُ معروفٌ شيئاً كثيراً ، ففرحَ السلطان وأمرَ التُجّارَ بعدمِ مطالبته حتى تجىءَ قافلة معروفٍ فيردَّ اليهم أموالهم

## زواج معروف

ثم إنَّ السلطان أقبلَ على الوزيرِ وطلبَ منهُ أن يلاطِفَ التاجرَ معروفاً ويذكر له ابنتَه حتّى يتزوّجَ بها . الا أنَّ الوزيرَ لم يزل

مُصرًّا على رأيه فى معروفٍ ورميهِ بالكذِب والاحتيالِ وحذَّره السلطان من أن يُزوِّجَه ابنتَه ، وكانَ الوزيرُ قد طلبَ فيما سبقَ يدها فلم ترضَ به

فلمَّا سمعَ السلطان ذلكَ رمى وزيرَه بالخيانةِ ، فسكتَ الوزيرُ وخافَ من غضبِ السلطان عليهِ ، ثمَّ إنه راحَ الى معروفٍ يمدَحُ له ابنَةَ السلطان ويذكرُ له حُسنَها وجمالَها وكيفَ أنَّ السلطان يُريدُ أن يُزوِّجَها منه ، فلم يمانع معروفٌ ، إلّا أنَّه طلبَ أن يتريَّث حتّى تأتىَ بضاعتُه ، إذ أنَّ مهرَ بناتِ السلاطين عظيمٌ كبيرٌ ، وليسَ لديهِ وقتئذٍ شىء من المالِ ، إذ أنَّه يُريدُ أن يدفعَ مهراً مقدارُهُ خمسةُ آلافِ كيسٍ ، وأن يُفرِّقَ ألفَ كيسٍ على الفُقراء والمساكين ويُريد ألفَ كيسٍ يُعطيها من يَسيرُ فى موكبِ زفافهِ ، وألفَ كيس يصرفُها على طعامِ الجُندِ ، وأنه فى حاجةٍ الى مائةِ جوهرةٍ يُهديها الى الملكةِ ومائةٍ أُخرى يفرِّقُها على الخَدمِ ، وأنه فى حاجةٍ الى أن يَكسوَ ألفَ فقيرٍ ، وهذا كلُّه لا يتيسر الا اذا وصلتْ بضاعتُه

فرجعَ الوزيرُ وأخبرَ السلطان بما قاله معروفٌ ، فأثارَ قولُه طمعَ السلطان ، ولـكنَّ ذلك لم يُغيِّر من رأى الوزير فى معروفٍ ، غيرَ أنَّ السلطان زجرَه وهدده بالقتلِ اذا لم يرجع عن كلامهِ

ثم انَّ الوزيرَ ذهبَ الى معروفٍ ودعاهَ الى حضرَةِ السلطان ، فقالَ لهُ السلطان :

« لا تعتذِر بهذهِ المعذرةِ يامعروفُ فإنَّ خزانتى ملأى بالأموال والجواهرِ فخذ مفاتيحها وأنفِق جميعَ ماتحتاجُ اليهِ حتّى تجىءَ قافلتُك ، ثم أرسلَ فى طلبِ المأذون فعقد لمعروف على ابنته ، وشرعَ السلطان فى تزيين المدينةِ ودقّ الطبولِ وتقديم الأطعمةِ وكانَ معروفٌ يجلسُ على مقعد أمامه أصحابُ الألعابِ ، وكانَ يأمُرُ خازنَ السلطان أن يأتيَهُ بالذهبِ والفضةِ وصارَ يُبعثرُها على المتفرِّجينَ ويُحسِنُ بها على الفقراءِ والمساكينِ ، وكانَ الوزيرُ يتميَّزُ غيظاً كلَّما رأى ذلكَ ولم يقدِرْ على أن يكاشِفَ السلطان . وفى اليوم الأول بعدَ الأربعينَ تمَّت مراسيمُ الأفراحِ ونظموا موكبَ العُرسِ

وسارَ فيهِ جميعُ الامراء والعساكرِ وسارَ معروفٌ ينثرُ الذَّهبَ ويُبعثرُه على رءوسِهم

فلما كانَ اليومُ الثَّانى جاءَ الخازنُ الى السلطان وقبَّلَ الأرضَ بينَ يديْه وأعلمه بأنَّه لم يبْقَ فى خِزانةِ الدَّولةِ الا القليلُ منَ المالِ ، فقالَ السلطان إنه فى انتظار قافلةِ نسيبهِ معروفٍ ، فما كانَ منَ الوزير الا أن ضَحكَ عندما سمعَ ذلكَ وأخذَ يُبيِّنُ للسلطان صدقَ كلامهِ ، فلم يجد السلطان بدًّا من أن يسأَلَه عمَّا يَصنعُ لكىْ يعرفَ حقيقةَ معروفٍ فأَشارَ عليهِ الوزيرُ بأن يرسلَ فى طلبِ ابنتِهِ لأنَّها أقربُ الناس الى معروف

## هرب معروف

فلما جاءت ابنَةُ السلطان أخبرَها الوزيرُ بأَن زوجَها قد أتلفَ مالَ أبيها وأنه تزوَّجها بلا مهرٍ ، ولم يزل يعد ويُخلفُ الميعادَ ولم يظهرْ لِقافلتهِ خبرٌ وطلبَ منها أن تكشفَ لهم عن حقيقتِهِ . فلما

كان الليلُ ذهبتْ الى معروفٍ وأخذتْ تستدرجُه حتّى باحَ لها بحقيقتهِ ، وصارحها بأَنه ليسَ تاجِراً وليستْ له قافلةٌ ، ولم يكن الا رجلًا إسكافيًّا فى بلاده ، وأخبرَها بقِصَّتِهِ معَ زوجته وكيفَ هربَ منها . فضحكت ابنةُ السلطان ورمتْ معروفاً بالبراعةِ فى الكذِبِ والاحتيالِ ، وكيفَ أنَّه غرَّر بأَبيها بأَحاديثه المكذُوبةِ حتّى زوَّجها منه

ولما كانت ابنةُ السلطان تخافُ من أن يفتضحَ أمرُهَا عندَما يظهرُ الخَبْرُ بحقيقةِ معروفٍ ، لم تجد بُدًّا من أن تكتمَ ذلك فى نفسها ، ثم انها عرضت عليه أن يرتدِىَ حُلّة من حُللِ المماليكِ ويأْخُذَ معه خمسينَ ألفَ دينارٍ من مالها ويركَبَ جوادًا ويُسافرَ الى بلادٍ بعيدةٍ عن حُكم أبيها حتى لا ينفذ فيه عِقابٌ ، على أَن يكتُبَ إليها سراً فتعرفَ فى أَى البلادِ هوَ فتمدَّه بالمالِ كلّما احتاجَ

فلمَّا كانَ آخرُ الليلِ خرَجَ معروفٌ فكانَ كلُّ من رآه يظنُّ أنه مملوكٌ من مماليكِ السلطانِ مسافرٌ فى قضاءِ حاجتهِ ، فلما جاء

أبوها هو والوزيرُ فى الصباح ذكرتْ لهم أنَّ خادِمَها جاء الى معروفٍ بكتابٍ يحملُه عشرةُ مماليك ذكروا أنهم من مماليكِ معروفٍ ، وقرأته فإذا بهِ من المماليكِ خمسمائةٍ ، وأن ألفين من قُطاعِ الطريقِ قد خرجوا عليهم وحاربوهم ومنعوهم الطريقَ فكانَ ذلكَ سببَ تأخُّرهم ، فنهبَ اللصوصُ منَ القافلةِ مائتى جملٍ من الثِّيابِ وقتلوا خمسينَ مملوكاً ، وذكرت لهم أنَّ معروفاً عندما سمع ذلكَ لم يَحزَن ولم يغتمَّ بل نزل من القصرِ ضاحكاً فتوجَّه مع المماليك الذين جاءوا بالخِطابِ ليجىء ببقيةِ القافلةِ

فانطلتِ الحيلةُ على السلطان وقال لابنته : « إن مالَ زوجك كثيرٌ وانه لايشكُّ فى ذلك ، وقد عرفه منذُ أن دخل بلادَه متصدقا على الفُقراءِ ومنتظرا وصولَ قافلتِهِ

# الكنز

أما ماحدث لمعروفٍ فانَّه ركبَ الجوادَ ودخل البرِّيَّةِ وصار متحيراً لايدرى أين يتوجهُ ، وصار يبكى بكاء شديداً ، وقد انسدّت الطرقاتُ فى وجهه حتى رغب فى الموت . ولم يزل سائراً حتى أقبلَ على بلد صغير فرأى رجلا حرَّاثا يحرُث على ثورين ، وكان قد اشتدَّ به الجوعُ فاقترب منهُ وحيّاه فظنَّهُ الفلاحُ من مماليك السلطان ، ولم يعتد معروفٌ ذلك ، فدعاه الحرّاثُ الى النزولِ عنده

ثم إنّ الفلاّحَ تركه وذهبَ ليجىء لهُ بالغِذاء ، وقعد معروفٌ ينتظرُ ، ثم قال فى نفسه إنا شغلنا هذا الرجل المسكينَ عن شغله ، ولكن أنا أقومُ وأحرُث عِوضا عنه . ثم إنَّه أخذَ المحراثَ وساقَ الثيرانَ ، فعثرَ المحراثُ فى شىء فوقفتْ البهائمُ فساقها فلم تقدرْ على المشىِ ، فنظر إلى المحراثِ فوجدهُ مشبوكا فى حلقةٍ من الذهبِ ، فكشفَ عنها الترابَ فوجد تلك الحلقةَ فى وسط حجرٍ من المرمرِ بقدرِ قاعدةِ الطاحونِ

فأخذ معروفٌ يعالجه حتى خلعهُ من مكانهِ فظهر من تحتهِ درجٌ فنزل فيها فرأى مكانا مثلَ الحمامِ فيه حُجُراتٌ أربعةٌ ، فوجدَ الأولى منها ملأى من الأرض الى السَّقْفِ بالذَّهبِ ، ووجد الثانيةَ ملأى زُمرُّداً ولؤلؤا ومَرجانا ، ووجد الثالثةَ ملأى ياقوتا وفيروزجا، ووجدَ الرَّابعةَ ملأى بالماسِ وسائرِ أنواعِ الجَواهِرِ . ورأى فى صدرِ ذلك المكانِ صُنْدُوقاً من البِلَّوْرِ الصَّافِى مملوءًا بالجَواهرِ اليتيمةِ كلُّ جوهرةٍ منهُ بقدرِ الجَوزَةِ ، ورأى معروفٌ على ذلكَ الصُّندوقِ عُلبةً صغيرةً بقدرِ اللَّيمونةِ وهِىَ من الذَّهبِ فتعجَّبَ وفرحَ فرَحًا شديداً ولم يدر ما بها . ولما فتحها وجدَ خَاتَماً من الذهبِ مكتوباً عليهِ أسماءٌ وطلاسمُ بحروفٍ مثلِ دبيب النَّمل

## أبو السعادات

فحكَّ معروفٌ الخَاتَمَ ، فإذا بقائلٍ يقولُ لبَّيكَ ياسيّدى اطلبْ تُعطَ ، هل تُريدُ أَن تُعمّرَ بلداً أو تُخَرِّبَ مدينةً ، أَو تقتُلَ

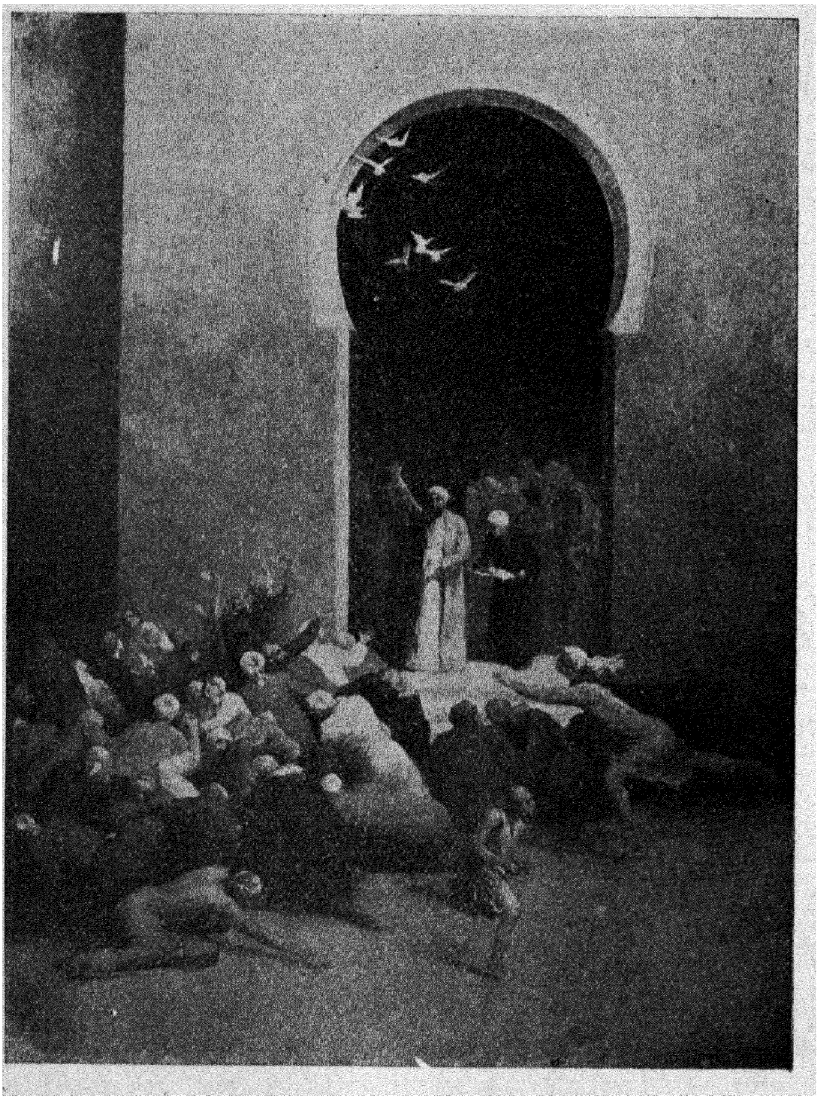

ودخل المسجد وصلى وفرق الباقي

مليكاً ، أو تحفِرَ نهراً ؟ فكل ما تطلب فهو مجاب . . »

فقالَ له معروفٌ مَن أنتَ وما تكون ، فقالَ أنا خادمُ هذا الخَاتَمِ ، ومهما طلبتَ من الأَغرَاضِ قضيتُه ، فإنى سلطان الجَانِّ ، وعدةُ عَسكرِى اثنتان وسبعونَ قبيلةً ، كلُّ قبيلةٍ عدَّتُها اثنان وسبعونَ أَلفاً ، وكلُّ واحدٍ منَ الأَلفِ يحكم على أَلفِ مارد ، وكلُّ مارِدٍ يحكمُ على أَلفِ عونٍ ، وكل عونٍ يحكمُ على أَلفِ شيطانٍ ، وكل شيطانٍ يحكم على أَلفِ جنِّيٍّ ، وكلُّهمْ تحتَ طاعتِى ولا يقدِرون على مُخالفتِى ، وأنا مرصودٌ على هذا الخَاتَمِ لا أَقدِرُ عَلَى مُخالَفةِ من ملكهُ وها أنتَ قد مَلكتَهُ ، فأنَا خادِمُكَ فاطلب ما شِئتَ فانى سميعٌ لقولكَ مُطيعٌ لأمرِكَ ، واذا احتجتَ إلىَّ فى أىِّ وقتٍ فى البرِّ أو فى البحرِ فحُكّ الخَاتَمَ تجدْنِى عندَك ، وإيَّاكَ أن تحُكَّه مرتين متواليتين فتحرقنى بنار السماء وتُعدِمَنى فتندم بعد ذلكَ ، وقد عرّفتُك بحالى والسلام . . »

ثمَّ سأله معروفٌ عن اسمهِ ، وعمّن أرصدَه فى هذه العلبة

فقالَ لهُ « يَاسيّدِى إنَّ هذا الكنزَ يقالُ لهُ كنزُ شَدَّادِ بن عاد ، الذى عمّرَ ارمَ ذاتَ العِمادِ ، التى لم يُخلَقْ مثلُها فى البِلادِ ، وأنا كنتُ دمَهُ فى حياتهِ ، وهذا خاتَمُه وقد وُضعَ فى كنزهِ . ولكنَّه نصيبُك .

ثم سأله معروفٌ ، هلْ يَقدِرُ أن يُخرِجَ ما بهذا الكَنز على وجهِ الأرضِ ؟ فقالَ له : إنّه سهلٌ يَسيرٌ

## فتح الكنز

ثم ان معروفاً طلبَ منه أن يُخرِجَ ما فى الكنزِ ولا يُبقىَ منه شيئاً فأشارَ بيده الى الأرض فانشقَّتْ ، ثم نزلَ وغابَ مدة ، فإذا بغلمانٍ صِغارٍ بوجوهٍ حسانٍ قد خرجُوا وهُمْ يحملونَ أطباقاً من الذَّهبِ ، ممتلئةً ذهباً ، فأفرغوها ثم راحُوا وجاءوا بغيرها وهكذا صاروا ينقلون الذَّهبَ والجَواهرَ ، فلمْ تمضِ ساعةٌ حتّى أخرَجوا جميعَ ما فى الكنز

ثم طلعَ لهُ أَبو السعاداتِ وقالَ لهُ : ياسيّدِى هانحنُ قد نقلنا جميع ما فى الكنزِ ، فسألَه معروفٌ عن هؤلاءِ الأَولادِ الِحْسانِ ، فقالَ هؤلاءِ أولادِى ، لأنَّ العملَ لا يستحقُّ أن أجمعَ له الأَعوانَ ، وأولادِى قضوْا حاجتَكَ وتشرّفُوا بخدمتِكَ ، فاطلبْ ما تريدُ غيرَ هذا

فسأَلَ معروفٌ أبا السَّعاداتِ هل يقدرُ أن يجىءَ لهُ ببغالٍ وصناديقَ ، ليضعَ هذِهِ الأَموالَ فى الصناديق وتحملُها البغالُ . فقالَ له أبو السعاداتِ : إنَّ هذا أَيْسَرُ ما يكونُ . ثم إنّه زعقَ زعقةً عظيمةً فحضرَ أَولادُه بينَ يديهِ . وكَانُوا ثمانمائةٍ ، فأَمرهم أن يَنقلِبَ بعضُهمْ فى صورةِ البِغالِ وبعضُهم فى صورةِ المماليكِ الِحْسانِ الذين لا يوجدُ لأقلِّهم مثيلٌ عندَ ملكٍ منَ الملوكِ ، وبعضُهم فى صورةِ المُكارينَ ، وبعضُهم فى صورة الَخْدَّامينَ ، ففعلوا كما أَمرَهم

ثم إنَّ أَبا السعادات صاحَ على الأَعوانِ فحضرُوا بينَ يَديهِ فأَمرَ بَعضَهم أَن ينقلبَ فى صورةِ الَخْيلِ المسرَجَةِ بسروجِ الذَّهبِ

المرصَّعِ بالجَواهرِ . فلما رأى معروفٌ ذلكَ قالَ أينَ الصناديقُ ، فأَحضرُوهم بينَ يديهِ ، فأَمرَهم أن يَضعوا كلَّ صِنف وحدَه ففعلوا وحملوها على ثلاثِمائة بغلٍ . فقال معروفٌ : يا أبَا السعادات هل تقدر أَن تجىء لى بأَحمالٍ من نفيسِ الثِّيابِ ، فسأَله أَبو السعاداتِ عن نوعِ الثِّيابِ التى يريدُها أَهِيَ مِصريةٌ ، أَم شاميةٌ أَم عجميةٌ ، أم هنديةٌ ، أَم روميةٌ ، فطلبَ منه معروفٌ أَن يأْتِيَ لهُ من كل صنف بمائة حِمل على مائةِ بغلٍ

فأَمرَ أبو السعاداتِ كلَّ طائفَةٍ من أَعوانهِ أَن تذهبَ إلى بلَدٍ لتجىء بمائةِ حملٍ من ثيابِها وينقلبَ الأعوانُ فى صورةِ البغالِ ويأتوا حاملينَ ما طلبَ فسأَلَهُ معروفٌ عن المهلةِ التى يُريدُها لجلبِ ذلكَ ، فقالَ مدةُ سوادِ الليلِ ، فلا يَطلعُ النَّهارُ الا وعندكَ ما تُريدُ ، فأَمهله معروفٌ هذه المدَّةَ

ثم أَمرَهم أَن يَنْصِبُوا لمعروفٍ خَيْمةً فنصبوها وجلسَ فيها وجاءوا له بسماطٍ ، وطلبَ من أَولادِهِ أَن يكونُوا بينَ يديْهِ لحراسته

إذ أنّه ذاهبٌ ليجمعَ أعوانَه ويبعثَهم ليقضُوا حاجتَه : فذهبَ أبو السعادات الى حالِ سبيلهِ وجلسَ معروفٌ فى الخَيْمَةِ ، والطعامُ أمامه وأولادُ أبى السعادات فى صورةِ المماليكِ والخَدَم

فبينما هو جالسٌ على تلكَ الحالةِ اذا بالرَّجُلِ الفلّاحِ قد أقبلَ وهو يحملُ قَصعةَ عدَسٍ كبيرةً ومِخلاةً ممتلئةً شعيراً ، فرأى الخَيمةَ منصوبةً والمماليكَ واقفينَ وأيديهم على صدورهم ، فظنَّ أنّه السلطانُ قد أتى ونزلَ فى ذلكَ المكانِ . فقال الفلّاحُ فى نفسِهِ ياليتنى كنتُ ذبحتُ فرختينِ وقليتُهما لأقدّمهما إلى السلطانِ ، وأراد أن يرجعَ ليذبحَ فرختين يُضَيِّفُ بهما السلطانَ ، فرآهُ معروفٌ فناداه وأمرَ المماليكَ أن يأتوا به فحملوه ومعهُ قَصعةُ العدَسِ

فسألهُ معروفٌ عما يحملُ وأشارَ الى قَصعةِ العدَسِ وإلى مخلاةِ الشعيرِ ، فقالَ له الفلّاحُ :

« إنَ هذا غِذَاؤكَ وهذا عليقُ حِصانِك : فلا تُؤاخذْنى فإنى ما كنتُ أظُنُّ أنَّ السلطانَ يأتى الى هـذا المكانِ ، ولو علمتُ

ذلكَ كنتُ ذبحتُ له فرختينِ وكنتُ ضيّفتُه ضيافةً حسنة »

فقال له معروفٌ :

« إنّ السلطانَ لم يجئْ وإنما أنا نسيبُهُ ، وكنتُ فى خِصام معه فأَرسلَ إلىّ مماليكَهُ فصالحونى ، وأنا الآنَ فى طريقى الى المدينةِ . أمّا وقد كلفت نفسَكَ ضيافتى على غيرِ معرفةٍ فإنَّ ضيافتَكَ مقبولةٌ ولو كانت عدَساً ، فلا آكل إلّا من ضيافتِك »

ثم إنَّ معروفاً أَمره بوضعِ القَصعةِ فى وسطِ المائدةِ وأَكلَ منها حتى اكتفى ، وأَمّا الفلّاحُ فإنّه ملأَ بطنَهُ من تلكَ الألوانِ الفاخرَةِ ، ثم إنّ معروفاً غسلَ يديه وأَذِنَ للمماليك بالأكلِ ففعلوا ولما فرغتْ القَصعةَ ملأَها له ذهباً وقالَ له اذهب بها إلى منزلِك وتعالَ عندى فى المدينةِ وأَنا أُكرمُكَ

فأَخذَ الفلّاحُ القَصعةَ وهيَ ملأَى ذهباً وساقَ الثيرَانَ وذَهَبَ الى بلدهِ وهو يَظنُّ أَنَّ معروفاً نسيبُ السلطانِ ، وباتَ معروفٌ تلك الليلةَ فى أُنسٍ وصفاء ، وجاءوا له ببناتٍ من عرائسِ الكنوزِ

فدقّوا الآلاتِ ورقصوا أمامَه

فلمـــا أصبحَ الصّباحُ لم يشعرْ الّا والغبارُ قد علا وطار وانـكشفَ عن بغالٍ محملةٍ ، وهىَ سبعُمائةِ بغلٍ تحملُ ألوانَ الثيابِ وحولها غلمانٌ مُكارونَ ، وجاء أبو السعاداتِ يركبُ بغلةً وهو فى صورَةِ مُقدَّمِ القافلةِ ، وأمامه تختروان ذو أربعِ عساكرَ من الذّهبِ الأحمرِ الوهّاجِ مرصّعةٍ بالجواهرِ . فلمـا وصلَ الى الخَيمةِ نزلَ من فوقَ ظهرِ البغلةِ وقبّلَ الأرضَ وقالَ له :

« ياسيّدى إنّ الحاجةَ قُضِيَتْ بالتمامِ والـكمالِ ، وهذا التّختروانُ فيهِ حُلّةٌ ثمينةٌ ، لا مِثْلَ لهـا فى ملابسِ الملوكِ فالبَسْها واركب فى التّختروانِ وأُمُرْنَا بما تُريد »

فقالَ له معروفٌ :

« يا أبا السّعادات ، إنّ مُرادِى أن أَكتُبَ لكَ خطاباً تذهبُ به الى مدينةِ اختيان الخُتن ، وتدخلُ على السلطانِ وأنتَ فى صورةِ ساعٍ أنيس

فقالَ له أبو السَّعاداتِ : سمعاً وطاعةً ، فكتبَ معروفٌ كتاباً وختمه ، فأخذهُ أبو السَّعاداتِ وذهبَ بهِ حتّى دخلَ على السلطانِ فرآهُ يقولُ لوزيرهِ : إنَّ قلبي جَزِعٌ على نسيبي ، وأخافُ أن تقتلَهُ اللصوصُ فياليتني كنتُ أعرِفُ أينَ ذهبَ حتّى أتبعه بالجُندِ وياليتهُ أخبرني بذلكَ قبلَ ذهابه .

ولكنَّ الوزيرَ أخذَ يذكرُ معروفاً بالتحايُلِ ، وبأنّه هَرَبَ خوفاً من الفضيحةِ فما هو إلّا كذّابٌ محتالٌ . وبينما هو كذلكَ اذا بالرَّسولِ يدخل ويُقبِّلُ الأرضَ بينَ يَدي السلطانِ ويدعُو له بدوامِ العزِّ والنعمِ والبقاءِ فسأله الملكُ عن نفسهِ وعن حاجتهِ ، فأجابهُ أبو السعاداتِ بأنّه رسولُ نسيبهِ ، وهو مُقبلٌ بالقافلةِ ، وقد أرسلَ اليه معه كتاباً وأراه إيّاه

ثمَّ إنَّ السلطان قرأ كتابَ معروفٍ وهو يَبُثُّ فيهِ أشواقَه ويذكرُ له خبرَ قدومهِ بالقافلةِ ، وطلبَ منه أن يقابله بالجُندِ

عندَ ذلكَ التفتَ السلطانُ الى وزيرهِ وأخذَ يلومُه ويؤنّبُه

على رمْيِ معروفٍ بالكذِبِ والنَّصبِ. فأطرَقَ الوزيرُ رأْسَهُ الى الأرضِ حياءً وخجلًا ، وقال إنّه ما فعلَ ذلكَ الا لطولِ غيابِ القافلةِ وخوفه على ضياعِ المالِ الذى صرَفَه

## رجوع معروف

ثم إنَّ السلطانَ أَمَرَ بإقامةِ الزِّينةِ فى المدينةِ ثم دخلَ على ابنتِهِ وبشَّرَهَا بقُربِ إيابِ زوجها بقافلةٍ عظيمةٍ وأَخبرَها بما فى كتابِ معروفٍ ، وذكر لها أَنَّه خارجٌ لملاقاتهِ . فتعجَّبتْ بنتُ السلطانِ من هذه الحَالةِ وقالت فى نفسها : هذا شىءٌ عجيبٌ ، أَهوَ يهزأُ بى ويسخرُ مِنِّى ؟ أم كانَ يُريدُ اختبارى حينَ أَخبرَنى بأنه فقيرٌ ، ولكننى أَحمدُ اللهَ حيثُ إنّه لم يسمع منى كلمة تحقيرٍ

أمَّا ما كَانَ من أَمر علىٍّ التاجرِ المصرى ، فإنه لما رأَى الزينةَ سأَلَ عن سببِ ذلكَ ، قالوا له إنَّ التاجرَ معروفًا نسيبَ السلطانِ قد أَتتْ قافلتهُ فتعجَّبَ من ذلكَ ولم يَدرِ من أَينَ أَتَتْ له هذهِ

القافلةُ وقد أتاه فقيراً هارباً من زوجتِهِ ، غيرَ أنّه ظنَّ أنَّ بنتَ السلطانِ دبّرت له هذهِ الحِيلةَ خوفاً من الفضيحةِ

ثم إنَّ التُّجّارَ لمّا سمعوا بذلكَ فرحوا لأنهم صاروا على يقين من أخذِ أموالهِم ، ثم إنَّ السلطانَ جمعَ الجُندَ وخرجَ الى ظاهرِ المدينةِ وكان أبو السعادات قد رجعَ الى معروفٍ وأخبرهُ بأنّه بلّغ الرسالةَ فلبسَ حلّتَه الفاخرةَ وركبَ التخترُوانَ فصارَ أعظمَ هيبةً من السلطان بكثيرٍ .

ولما سارت القافلةُ الى نصفِ الطريق اذا بالسلطانِ يُقابلهُ فى عسكرهِ فلمّا وصل اليه ورأى ماعليه من فاخرِ الثيابِ رمى بنفسهِ وسلَّم عليه وحيّاه ، ثم سلَّم عليه أكابرُ الدولةِ ، وظهر لهم أن معروفاً صادقٌ ولا كذبَ عنده

ثم إنه دخل المدينةَ بموكب فاخرٍ ، وصارت التُّجارُ تسعى اليه يقبِّلون الأرض بين يديه . فلما دخل القصرَ جلسَ على الكرسىّ وأمرَ بادخال أحمال الذَّهب إلى خِزانةِ السلطانِ ثم أمر باحضار أحمال

الثياب فقدموها اليه وصاروا يفتحونها حِملاً بعد حمل ويخرجون مافيها حتى فتحوا السبعمائة حملٍ . فاختار معروفٌ أنفرَها ، وأمرهم أن يذهبوا بها الى الملكة لتفرقهُ على جواريها ، وأمرهم أن يأخذوا صندوقا من الجوهرِ لتفرقه الملكةُ على الجوارى والخدم

ثم إن معروفاً صار يُعطى التُّجارَ الذين استدان منهم ثيابًا فى نظير ديونهم ويعطى المثلَ مثلين أو أكثر ، وبعدَ ذلك صارَ يُفرّقُ على المساكينِ والفقراء ، كُل هذا والسلطانُ ينظر بعينيه ولا يجرؤ أن يعترضَ عليه ، ولم يزل يعطى ويَهبُ حتى فرّق السبعَمائةِ حملٍ ، ثم التفتَ إلى الجندِ وصار يُفرّقُ عليهم الزُّمُرُّد واليواقيتَ والمَرجانَ وغيرَ ذلك ، وكان لايعطى إلّا بملء كفه دون أن يَعُدَّ ، واشتهر صدق معروفٍ ولم يبق أحد يجرؤ على تكذيبه ، وصار هو لايبالى بالعطاء ، حتى إن أَمين السلطان أَتى اليهِ يخبرُهُ بأن خِزانته قد امتلأتْ وصارتْ لاتسعُ بقيةَ الأحمالِ وما بقى من الذَّهبِ والمعادنِ

ولما رأت بنتُ السلطانِ هذِهِ الحَالةَ ازدادَ فرحُها وطال تعجُّبها

وصارت تتساءلُ عن مصدرِ كل هـــذا الخَيرِ . أمَّا التجار فراحوا بما أعطاهُم وهم يدعونَ له . وأما التاجرُ علىٌّ فإنه كَانَ أشدَّهم تعجُّباً وحَيْرةً ، وكَان يقولُ فى نفسه « ياتُرى كيفَ نصبَ وكذَبَ حتّى ملكَ هذِهِ الخَزائنَ كلَّها ، فإنها لو كَانت من عند بنتِ السلطانِ ما كَانَ يفرّقُها على الفقراءِ .

ثم إنَّ معروفاً دخلَ على زوجتهِ وهي فرِحةٌ ضاحكةٌ وقبلت يدَه وأَخذتْ تسأله عن سببِ ادّعائه الفقرَ ، وتذكرُ له اخلاصَها وحبّها له وكيفَ أنها لا يَعنيها من أمره غنى أو فقرٌ . فأجابها معروفٌ :

« إنّى أردتُ اختبارَكِ حتّى أنظرَ هل محبَّتُكِ خالصةٌ أو كَانت لأجل المالِ وطَمَعِ الدنيا فظهرَ لى أن محبتَكِ خالصةٌ وأنكِ كنتِ صادقةً فيها فعرفتُ بذلكَ قيمتَكِ »

ثم إنَّ معروفاً اختلى فى مكانٍ وحده وحكَّ الخَاتَمَ ، فحضرَ له أبو السعاداتِ وقالَ له لبيكَ اطلب ما تريدُ . فطلبَ منه

معروفٌ أن يُحضِرَ حُلةً ثمينةً لزوجتِه ، وحلياً يشتملُ على عِقدٍ فيهِ أربَعون جوهرةً يتيمةً . فأحضرَ له أبو السعاداتِ ما أمَرَه به فحمل معروفٌ الثيابَ والحُلىَّ بعد أن صرفَ الخادمَ ودخلَ على زوجتهِ ووضعها بينَ يديها

فلما نظرت زوجتُه إلى ذلكَ طارَ عقلها فرَحاً ، ورأت من بينِ الحُلىِّ خلخالين من الذَّهبِ مرصعينَ بالجواهر من صنع الكهنة وأساورَ وحلقاً وخزاماً لا يُقدر له ثمن . فلبست زوجته الثيابَ والحُلىَّ ، فلما نظرها الجَواري فرحْنَ وقبّلنَ يديْها

فتركهنَّ معروفٌ واختلى بنفسهِ ، ثم حكّ الخاتمَ فحضرَ له الخادِمُ فأمرَه أن يأتِيَ له بمائةِ ثوبٍ معَ حليِّها ، فأحضرَ له ما طلبَ ، فأخذها معروفٌ ونادى الجَواريَ فأتينَ اليهِ فأعطى كلَّ واحدةٍ ثوباً فصرنَ مثلَ الحُورِ العينِ ، وصارت بنتُ السلطانِ بينهنَّ مثلَ القمر بينَ النجومِ . ثم إنَّ بعضَ الجَواري أخبرَ السلطانَ بذلكَ فدخلَ على ابنتهِ فدُهشَ منها ومن جواريها ، وتعجَّبَ لذلكَ غايةَ العجبِ

ثم إنّه خرجَ وأحضر وزيرَه وحدّثه بما حصلَ ، فلم يصدقِ الوزيرُ أنَّ هذا الكرمَ من كرمِ التجّارِ إذ أنَّ مثلَ هذه الأموالِ والجواهرِ لا توجدُ الّا عِندَ بعضِ الملوكِ ، فطلب الوزيرُ من السلطانِ أن يختبرَ حقيقةَ الأمرِ بنفسِه ، فقبلَ السلطانُ . فاتفقا على أن يدعوا معروفاً لنزهةٍ فى بستانٍ وأن يَسقياه الخمرَ حتّى يضيعَ عقلُه ويغيبَ رشدُه فيسألاه عن حقيقةِ أمرِه ، إذ أنَّ حالته تدعو إلى الشكِّ والرّيبِ ، فقد تدفعُ معروفاً نفسُهُ الى أن يطمع فى السلطنة بعد أن يشمل العسكرَ بالكرمِ وبذلِ المال

فلما أصبحَ الصباحُ خرجَ السلطانُ الى مجلسِهِ فإذا بالخَدَمِ تدخلُ عليهِ فى حَيرَةٍ فسألهم عنِ السبَبِ ، فأجابوه بأنّهم قد ربطوا الخَيلَ والبغالَ التى جاءتْ بالحملةِ فلمّا أصبحوا وجدُوا المماليكَ قد سَرَقوهَا ، وأنّهم فتّشوا عنها فى كل مكانٍ فلم يجدوا فرساً ولا بغلًا ، ثم انّهم دخلوا موضعَ المماليك فلم يروْا فيهِ أحداً فلم يعرفوا كيفَ هربوا

فتعجَّبَ السُّلطانُ من ذلكَ لأنَّه ظنَّ أن الخيلَ والبغال والمماليك كانت حقيقيَّةً ، ولم يعلمْ أنهم أعوانُ أبى السعادات ، وأخذ السلطانُ يؤنِّبُهم ويتعجَّبُ كيفَ أنَّ ألفَ دابَّةٍ وخمسمائةِ مملوكٍ يهرُبون دونَ أن يشعُروا بهم . ثم إنَّ السلطانَ أمرهم أن يُخبروا معروفاً عندَ خروجه بما حصلَ ، فانصرفوا من أمامِ السلطانِ وجلسوا فى حَيرةٍ من هذا الأمرِ .

وبينماهم جلوسٌ على تلكَ الحالةِ اذا بمعروفٍ قد خرجَ ، فرآهم وعلى وجوههم آثارُ الحَيرةِ والحُزنِ ، فسألهم عن جليّةِ الخبرِ فأخبروه بما حصلَ فلم يكنْ منه إلّا أن ضحِكَ ولم يُبدِ اكتراثاً ولم يغتمَّ من ذلكَ الأمرِ . فزادَ ذلكَ من عجب السلطانِ ، ونظرَ الى وجه الوزيرِ وقالَ له : أىُّ شىءٍ هذا الرجلُ الذى ليسَ للمال عنده قيمةٌ ، فلا بدَّ لذلك من سببٍ

## سرقة الخاتم

ثم انهم تحدَّثوا مع معروفٍ ساعةً ، واقترحَ السلطانُ عليهِ أَن يذهبوا الى بستانٍ لأجل النزهةِ فقبلَ معروفٌ ، فتوجَّهوا الى بستانٍ فيهِ قَصرٌ فجلسوا يتحدَّثونَ والوزيرُ يقصُّ عليهمُ القِصَصَ الغريبةَ ، ومعروفٌ صاغٍ الى الحَديثِ حتّى كَان وقتُ الغَداءِ فأَكلوا وقدَّموا الشَّرَابَ فشربوا . وما زالَ الوزيرُ يرغِّبُ معروفاً فى الشَّرَابِ حتّى مالَ اليهِ وأخذَ يَشرَبُ حتّى غابَ عن صوابهِ فلم يعد يُميِّزُ بينَ الخَطإِ والصَّوابِ

فلما بلغ بمعروف الشرَابُ هذهِ الغايةَ أَبدَى له الوزيرُ تعجبَه من أَمرِ هــذهِ الجَواهرِ التى لا يوجدُ لها مثيلٌ عندَ الملوكِ والأَكاسرةِ ، وطلبَ منه أَن يخبرَه عن سرِّهَا حتّى يعرفَ قدرَه ومكانتَه ، وصار يخادعه وهوَ غائبُ العقلِ

فقال له معروف :

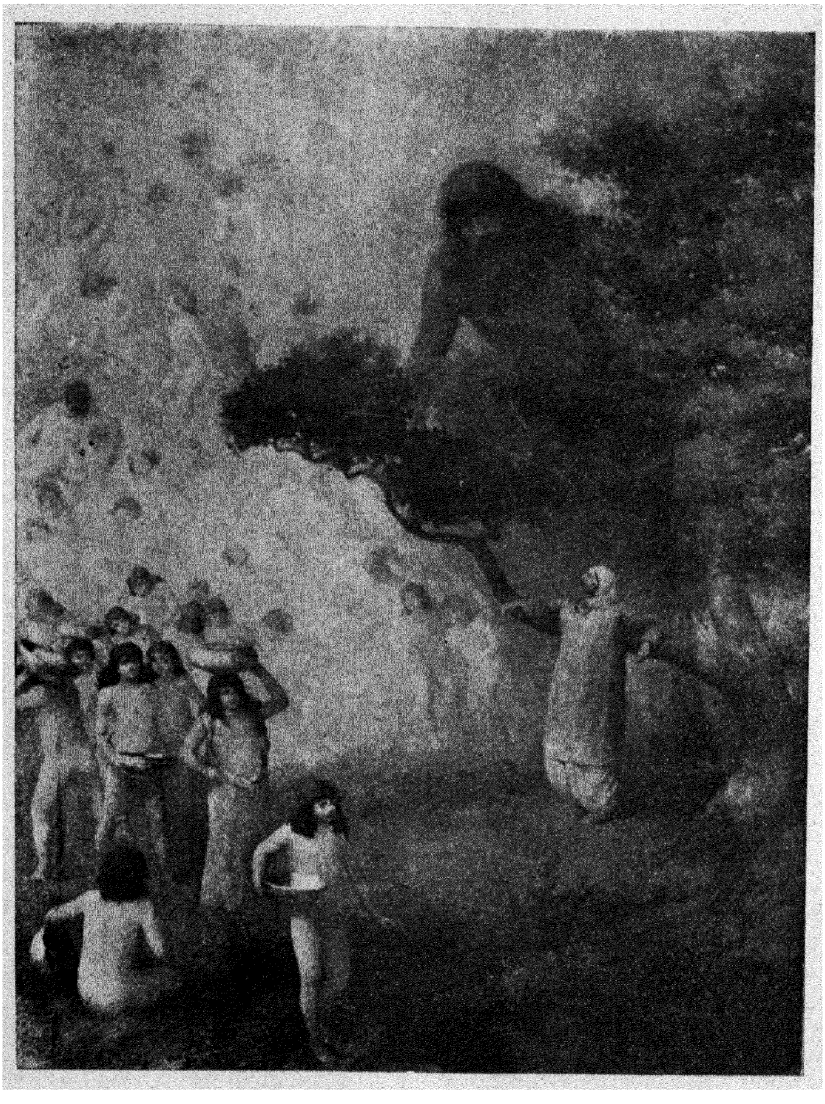

فاذا بغلمان قد خرجوا يحملون اطباقا من الذهب

« أنا لستُ تاجراً ولا من أولادِ الملوكِ ، ثم أخبرهما بأمرهِ من أولهِ الى آخرِه ، فطلبا منه أن يُريَهما هذا الخَاتمَ ، فخلعه معروفٌ وأراهما إيَّاه . فأخذهُ الوزيرُ وقلَّبه ، وسأله : هل إذا حكَّه حضرَ الخَادِمُ ، فأجابه نعم ، وطلبَ منه أن يجرّبَه

فحكَّ الوزيرُ الخَاتمَ ، فإذا بقائلٍ يقولُ لبيّكَ ياسيدى اطلب تُعطَ ، هل تريدُ أن تخرّبَ مدينةً أو تعمِّرَ مدينةً أو تقتلَ ملكًا ، فمهما طلبتَ من شيءٍ فانّنى أفعلُه لكَ من غير تراخٍ فقال الوزير للخادم : « احمل هذا الخَاسرَ - وأشارَ الى معروف - ثم ارمه فى أرض خراب لا يجد فيها ما يأكله ولا ما يشربه ، فيهلك من الجُوع ويموتُ كمداً ولا يدرى به أحدٌ

فخطفَ الخَادمُ معروفًا وطارَ بهِ بينَ السماءِ والأَرضِ ، فلما رأى معروفٌ ذلك أيقنَ بالهلاكِ فبكى وقال : يا أبا السعادات الى أينَ أنتَ ذاهبٌ بِى ؟ فقال له :

أنا ذاهبٌ لأرميكَ فى الرُّبعِ الخَالى أيها الجَاهلُ الغبى الذى

يملكُ رصداً مثلَ هذا ويعطيهِ للناسِ للتفرج عليهِ ، فأنتَ تستحق ما حلّ بكَ ، ولو لا أننى أشفقُ عليكَ لرميتكَ من مسافةِ ألف قامة فلا تَصلُ الى الأرضِ حتّى تمزّقكَ الرِّياحُ ، فسكتَ معروفٌ حتّى وصلَ بهِ إلى الربع الخالى ورماهُ هنالكَ ، ورجعَ وتركه بالأرضِ الموحشة

أمّا ما كانَ من أمرِ الوزيرِ فإنّه لما ملكَ الخاتَمَ قالَ للسلطان : كيفَ رأيتَ ؟ أما قلتُ لكَ إنَّ هـذا كذّابٌ مُحتالٌ وما كنتَ تُصَدِّقُنى ، فوافقَهُ السلطانُ على ذلكَ ، وطلبَ منهُ أن يُريَهُ الخاتَمَ فالتفتَ اليهِ الوزيرُ غاضِباً وبَصَقَ فى وجههِ وقالَ لهُ : يا قليـلَ العقلِ ، كيفَ أعطيكه وأبقى خادمَكَ بعدَ أن صِرتُ سيّدكَ .

ثمَّ إنَّ الوزيرَ حكَّ الخاتَمَ فحضرَ الخادِمُ فأمرَهُ أنْ يحملَ السلطانَ وأن يرميَهُ فى المكان الذى رمى فيهِ معروفاً ، فطارَ به وبينا هوَ كذلكَ سألهُ السلطانُ عن ذنبهِ ، فقالَ لهُ الخادِمُ : لا أدرى ! وانما أمرَنى سيِّدِى بذلكَ ، وليسَ لى أن أُخالِفَ من

ملك هذا الخاتَم . فلم يزل طائراً بهِ حتّى رَماهُ فى المكانِ الذى رمى فيه معروفاً . ثم رجَعَ وتركهُ هنالِكَ ، فسمعَ معروفاً يبكى فأتى اليهِ وأَخبرَهُ وجلسا يبكيانِ على ما أصابهما ولم يجدَا ما يأْكلانِهِ .

ثم إِنَّ الوزيرَ بعدَ أن فعلَ ما فعلَ ، خرجَ منَ البُستانِ وأرسلَ الى جميعِ العسكرِ وأخبرهم بالخاتَمِ وما صنعَ بمعروفٍ والسلطانِ ، وطلبَ منهم أن يولوه سلطاناً عليهم وإِلّا فعلَ بهم ما فعلَ بمعروف ، فلم يجدوا بدًّا من أن يرضوا بسلطانه فخلعَ عليهم الخلع ، وصارَ يطلبُ من أبى السعادات ما أراده فيحضرَهُ بينَ يديهِ فى الحْالِ . ثم إِنه أرسل فى طلبِ بنتِ السلطانِ ووسأَلها أن تَتزَوجُه فجاءت إِليهِ وهىَ تبكى وتندب أباها وزوجها ، ولكنها رفضت طلبه ثم إِنها أرسلتْ اليهِ بعدَ ذلكَ تُرَحِّبُ بهِ وكَان ذلكَ مكراً منها

فلما جاءَ المساءُ تقدَّمَ إِليها وهيَ فى أَفخَرِ ثيابها وزينتِها وهىَ تتصنَّعُ الضحكَ واللّطفَ . ثم إِنها أظهرَتْ خوفَها من الخاتَم ومنَ العفاريتِ التى حوله ، وطلبتْ منهُ أَن يخلعَه بعيداً فخلعَه ، فما

كانَ منها الّا أن ركلتْهُ برِجْلِها ونادتْ على أتباعها فأَمسكوهُ ، وعجلت فأخذَتِ الخاتَمَ وحكَّتْهُ فإذا بأَبى السعاداتِ قد أَقبلَ وهوَ يقولُ لبيكِ ياسيِّدَتِى ، فأَمرتهُ أُن يَحْمِلَ الوزيرَ ويضعَهُ فى السجنِ وأن يُثقلَ قيودَه ، فأَخذه وسجنَهُ .

ثم إنها سأَلتْهُ عن مكانِ أبيها وزوجِها فأَخبرها بذلكَ ، فأَمرته أن يأتى بهما فى تلكَ الساعةِ ، فطارَ من أَمامها ولم يزل طائراً حتّى وصلَ الى الربُعِ الخالى ونزلَ عليهما فوجدهما قاعدين يَبكيانِ ويشكوَانِ ، وأَخبرهما بما كانَ من أَمرِ الوزيرِ ففرحا بخبره ، ثم انه حملهما وطارَ بهما ، فما كَانَ غير ساعةٍ حتّى دخلَ بهما على بنتِ السلطان ، فقامتْ وسلمتْ على أَبيها وزوجها وقدمت لهما الطعامَ والحَلْوى .

ثم إنها فى اليومِ الثّانِى أَلبَستْ أَباها حُلّةً فاخِرَةً وأَلبَستْ زوجها كذلكَ وقالت ياأَبتِ اقعُد أَنتَ على كُرسيِّكَ سلطاناً كما كنتَ أَوّلًا واجعلْ زوجى وزيرَ ميمنَتِكَ ، وأَخبِرْ عسكرَكَ

بما جرى وهاتِ الوزيرَ منَ السجنِ واقتله وأَحرقْه لأنه كافرٌ لا دينَ له ، فأطاعها السلطان وطلبَ منها أَن تُعطيَه الخاتمَ أَو تعطيَهُ زوجها فقالت :

« إنَّ هذا الخاتمَ لا يصلحُ لكَ ولا لَه وانما يكونُ عندِى ، وربما أَنا أَحفظُهُ أَكثر منكما ، وما تريدان فاطلباهُ منّى وأَنا أَصلبُ لكما من خادِمِ الخاتمَ ولا تخشيا بأسًا مادُمتُ أَنا حيةً ، أَمَّا اذا متُّ فشأنكما والخَاتم »

فوافقها السلطانُ على ذلك

ثم إنَّ السلطان أَخذَ معروفًا وذهبَ به الى الدِّيوانِ ، وكانتِ الجُنْدُ تَضِجُّ من فِعالِ الوزيرِ ، فبينماهم كذلكَ اذا بالسلطانِ يدخلُ عليهم فى الديوان ومعهُ معروفٌ ، فلمَّا رآهُ العساكرُ فرحوا بقدومهِ وقاموا له على الأقدامِ وقبلوا الأَرضَ بينَ يديه ثم جلسَ على الكرسىِّ وأَخبرهم بالقصَّةِ ، ثمَّ انه أَحضرَ الوزيرَ من السِّجنِ فلمَّا مرَّ بالجُنْدِ صاروا يلعنُونَه ويشتمُونه ويُؤَنّبونه حتّى وصلَ الى

السلطانِ ، فلمّا مَثُلَ بينَ يديهِ أمرَ بقتلهِ أشنعَ قِتلةٍ ، فقتلوهُ ثم حرّقوه

ثم إنَّ السلطانَ جعلَ معروفاً وزير ميمنتهِ وطابتْ لهُمُ الأوقاتُ وصفتْ لهُمُ المسرّاتُ واستمرُّوا خمسَ سنواتٍ . وفى السنةِ السادِسةِ ماتَ السلطانُ ، فجعلتْ بنتُ السلطانِ زوجها سلطاناً مكانَ أبيها ولم تُعطهِ الخاتم . وفى هذِه المدَّةِ وضعتْ له غلاماً بديعَ الجمالِ بارعَ الحُسنِ ، فلما بلغَ خمسَ سنواتٍ مرضَتْ أُمُّه مرض الموتِ ، فأحضرَتْ معرُوفاً وأوصتْهُ على ولدِه وعلى الخَاتَمِ ، وفى اليومِ الثّانِى تُوُفِّيَتْ وبقى معروفٌ سلطاناً

## رجوع فاطمة

وفى بعضِ الأيّامِ اتفقَ لمعروف أن نفضَ المِنديلَ فانفضّت العساكرُ من أمامهِ الى أماكنهم ثمَّ إنَّه ذهبَ الى مرقدِهِ ونامَ ، وبينا هو كذلكَ لم يشعر إلّا وشىء بجانبهِ فانتبهَ مرعوباً ، ففتحَ عينيهِ فرأى الى جانبهِ امرأةً قبيحةَ المنظرِ فسألها عن نفسها ، فقالتْ

لا تخَفْ ، لا تخفْ أنا زوجتُكَ فاصمةُ ، فعرفها بقبحِ صورتها وطولِ أَنيابها ، فسألها معروفٌ من أَينَ جاءت ؟ وكيفَ دخلتْ هذه البلادَ فقالتْ إنها فارقت مصرَ فى هذه الساعةِ ، وذلكَ انها لما تشاجرتْ معَ معروفٍ وأغواها الشيطانُ على ضرره لحقتها الندامةُ وشعُرَت بذنبها وأَخذتْ تقضى الأَيامَ فى البكاءِ على فراقِهِ ، واحتاجَت الى السؤالِ لأجلِ القوت وصارت تُحَدِّثُ معروفاً عن ذلها وتعْسِها وهوانِها ، ومعروفٌ مبهوتٌ لا يتكلم

ثم إنها حكت له أنها كانت بالأمسِ تبحَثُ عن طعامٍ فلم تجد مَنْ يُعطيها شيئًا بل صارتْ كلَّما تقبلُ على أحدٍ وتسأَله كِسْرَةً يشتُمها . فلما أَقبلَ الليلُ باتتْ من غيرِ عَشاءٍ وجلستْ تبكى فاذا بشخصٍ تصوَّرَ أَمامَها وسألها عن بكائها ، فأخبرته بخبرِ زوجها وكم قاستْ من ذلٍّ بعده ، ثم إنه سأَلها عن اسمِ زَوْجها فأخبرَتْهُ ، فذكرَ لها أَنه يَعرفُ مكانَه وهو سلطانٌ فى مدينةٍ وطلبَ منها اذا رغبَتْ أَن يوصلها إِليه ، فطارَ بها بينَ السماءِ والأَرضِ حتّى

أَوصلها الى هـذا القصرِ وأَدخلها هذهِ الحُجرَةَ . ثم إِنَّ معروفًا أَخبرَها بمـا جرى حتّى صارَ سُلطانًا وتزوَّجَ بنتَ السلطان ، وأَخبرَها بأنها ماتتْ ورُزقَ منها ولداً عمُرُه سبعُ سِنينَ . ولم تزل زوجتُهُ تُظْهِرْ له ندَمها وتطلبُ منهُ الغُفرانَ حتّى رقَّ قلبُه لها ، ثم أَخبرْهَا معروفٌ بقصةِ الخَاتَمِ وأَنه اذا حكَّه ظهرَ له خادمٌ اسمه أَبو السعاداتِ يجيئهُ بما يطلبُ ، فخيرها بينَ الذهابِ الى مصرَ محملة بما يكفيها من مالٍ ، وبينَ البقاءِ عنده وفى خدمتها عشرونَ جاريةً وتصير سلطانةً حتّى تموت ، ثم ان زوجته فاطمة فضّلت الإِقامةَ بجواره وقبَّلَتْ يدَه وتابتْ عن الشَّرِّ ، فأفرَدَ لها قصراً وحدَهَا وكَانَ الولدُ يذهبُ عندها وعندَ أبيهِ إِلّا أنّه نفرَ منها لما كانتْ تُبْدِيهِ نحوهُ من كراهيةٍ ، وانما صنعَ معها ماصنعَ معروف ابتغاءَ مرضاة الله فغلب عليها الوساوسُ ففكّرتْ أن تأخذ الخَاتم منه وتقتله فتصبح سلطانةَ مكانَهُ

## الخاتمة

ثم انها خرجَتْ ذاتَ ليلةٍ منَ الليالى من قصرها متوجهةً الى حيثُ قصر معروفٍ لكىْ تسرقَ الخاتم منهُ وهو مستغرقٌ فى نومهِ فلما خرجت كانَ ابنُ السلطانِ فى تلكَ الساعةِ يسيرُ فى حديقةِ القصرِ فلما رآها على هذا النحوِ شكّ فى أمرها وتبعَ أثرها من حيثُ لا تراهُ وكان له سيفٌ قصيرٌ من الجوهرِ لا يخرُجُ الا متقلّداً إياهُ ، فمشى وراء زوجةِ أبيهِ حتّى دخلت القصرَ فرآها تُفتّشُ وتبحثُ عن الخاتم ، ولم يزلْ صابراً حتّى وجدتهُ فأخذَته وأرادت أن تخرج ، فاختفى خلفَ الباب ، فلما خرجت من البابِ نظرَت الى الخاتم وقلّبته فى يدها وأرادت أن تحكّه فتقضى مآربها الخبيثةَ ، فرفعَ يده بالسيفِ وضربَ كفها فوقع الخاتمَ ، فأخذه من يدها

ثم إنَّ السلطان معروفاً أرسلَ يطلب الرَّجُلَ الحرّاثَ الذى كانَ ضيفَه وهو هاربٌ ، فلما حضرَ جعله وزير ميمنتهِ وصاحبَ مشورتهِ ، وبعد ذلكَ تزوّجَ ابنته وأقاموا فى أرغدِ عيشٍ وصفت لهمُ الأوقاتُ

مكتبة الأطفال الحديثة
شعارها
دع الطفل يعلم نفسه بنفسه
يصدرها:
أحمد عطية الله
المفتش بوزارة المعارف
تنشرها:
مكتبة عيسى البابي الحلبي
وشركاه بالقاهرة